الجمعة : 27/3/2009 الشيخ الطيب محمد خير الشعال

سلسلة أسرتي

15- ((يا أختي))

أختٌ تخاطب أختها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد ه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

وأذكركم بالموت فإن بضاعة الآخرة الحسنات والسيئات ونحن عما قريب ذاهبون من هذه الدار إلى دارٍ من اتقى الله هنا سعد هناك ومن عصى الله هنا حوسب هناك فقدموا لأنفسكم...

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ الزلزلة:7-8

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة الخامسة عشرة وقبل الأخيرة من سلسلة أسرتي وقد تحدثا(لماذا هذه السلسلة)) وتحدثنا في خطبتين ((يا بني)) ، وخطبتين ((يا ابنتي))،وخطبتين ((يا أبتِ)) وخطبتين ((يا أمي)) و خطبة ((يا زوجي)) و خطبة ((يا زوجتي)) وخطبتين ((يا أخي)) وكان عنوان خطبة الأسبوع الماضي ((يا أختي – أخ يخاطب أخته)) وعنوان خطبة اليوم :

((يا أختي..أخ يخاطب أختها))

فأقول بمقالها:

يا أختي ، يا أقرب الناس مني ، يا من أملك أملي وألمك ألمي ، تضحكين فأضحك وتبكين فأبكي ، وكأني أنا أنتِ ، وكأنكِ أنتِ أنا .

يا أختي : يا صديقتي ، يا عزيزتي ، قرأ أخونا – كما أخبرك في الخطبة الماضية – في مسند الإمام أحمد وفي معجم الطبراني وغيرهما حديثاً يرويه سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون** »

ويروي الحديث سيدنا أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون** » [أحمد ، والطبراني ، وابن عساكر]

لما قرأ هذا الحديث ذهب إلى سير هؤلاء السيدات الكريمات ليبحث في سيرهن عن أعمالٍ عملوها وأخلاقٍ تخلقوها رفعتْهن إلى رتبة أفضل نساء أهل الجنة وخير نساء العالمين .

لينقل لكِ – يا أختي – هذه الأعمال والأخلاق ، عساكِ – وأنا معك – أن نعمل بعملهن فنلحقَ بهن في رتبهن ، إن التشبه بالكرام فلاح وحدَّثك في الأسبوع الماضي عن السيدة مريم والسيدة خديجة رضي الله عنهما ، وترك لي الحديث عن السيدة فاطمة والسيدة آسية رضوان الله عليهما ليكون موضوع خطبة اليوم :

السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **إنما فاطمة بضعة مني ، فمن أغضبها أغضبني** » وفي رواية « **فمن آذاها فقد آذاني**» وقال لها مرةً «**إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك** » [الطبراني وإسناده حسن]

رُزق رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أولاد : ثلاثة ذكور وأربع إناث ، أما الذكور : فإبراهيم والقاسم وعبد الله ويلقب بالطيب والطاهر ، وأما الإناث فأربعة : أم كلثوم ورقية

وزينب وأصغرهن فاطمة.

وقد مات الأولاد جميعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما عدا فاطمة فإنها بقيت بعده ستة أشهرٍ ثم توفاها الله تعالى ولها من العمر تسعُ وعشرون سنة .

واعجبي يا أختي – إن كنت تعجبين – من فتاةٍ لها من العمر تسع وعشرون سنة هي سيدةٌ من سيدات نساء أهل الجنة وهي سيدةٌ من أربع سيدات هن نساء العالمين ، فما عملتْ ؟ وما صنعتْ ؟ وبأي رتبةٍ نالتْ هذه الرتبة ؟

إني ذهبتُ إلى سيرتها رضي الله عنها لأبحث فيها عن أعمالٍ عملتها وأخلاقٍ تخلقتها رفعتها مكاناً علياً ، فوجدتها تحلت بأربع صفاتٍ – رأيتها والله أعلم – هي التي سمت فوق الذُرا

كانت فاطمة رضي الله عنها : **بارةً بأبيها ، صابرةً مع زوجها ، مربيةً لبنيها ، طائعةً لربها** .

أما برها بأبيها :

فالسيدة فاطمة لشدة عنايتها برسول الله صلى الله عليه وسلم وبرها له صلى الله عليه وسلم فكانت تُكنى (بأُم أبها) ، كلما دخل أبوها قامت له فقبلته وأجلسته مكانها ، شهدت معه أيام الدعوة وعانت حصار قريش وفقْدَ أمها خديجة والهجرة عن مكة وهي في كلِّ ذلك ترعاه صلى الله عليه وسلم وتقوم بما ينبغي للبنت البارة أن تقوم به مع أبيها .

أما صبرها مع زوجها :

فقد تزوجت أختها زينب من أبي العاص وهو من أثرياء مكة ، وتزوجت أختاها رقية وأم كلثوم من ابني أبي لهب ذي المال الوافر وكان ذلك قبل الإسلام ، فلما أوحي للنبي صلى الله

عليه وسلم طُلِّقتا منهما ، فتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية فلما ماتت تزوج أختها أمَ كلثوم ، وعثمان رجلٌ ثريٌ حيي ، أما زوج فاطمة فهو سيدنا علي رضي الله عنه .

شابٌ فقير لا مال له ولا متاع ، لما خطبها من أبيها سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندك ؟ قال : درعٌ ثمنها أربع مائة درهم . فزوجه فاطمة بالدرع .

لما دخلت بيت زوجها كان فيه خميلة ووسادة ورحا وسقائين وشيء من العطر والطيب. بنتُ أشرفِ خلقِ الله تُزف عروساً إلى بيتٍ بهذه البساطة ، وأبوها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لو شاء ان تمشي معه الجبال ذهباً وفضةً لأجراها الله معه ، وأخواتها يَحْيَيْنَ مع أزواج أثرياء وهي صابرة مع زوجها التقي النقي .

ما كان عندها خادمٌ تعينها ، فَمَجِلتْ يداها من إدارة الرحا وخدمة المنزل ، فطلبت يوماً من النبي صلى الله عليه وسلم خادماً فأبى وعلمها أن تسبح الله كلَّ يوم قبل النوم ثلاثاً وثلاثين وتحمد الله كلَّ يوم قبل النوم ثلاثاً وثلاثين وتكبر الله كلَّ يوم قبل النوم ثلاثاً وثلاثين وقال : هنَّ لك خيرٌ من الخادم .

كانت فاطمة بارةً بأبيها ، صابرةً مع زوجها ، مربية لبنيها .

أما تربيتها لبنيها :

لقد ربت لنا في هذا البيت المتواضع مع هذا الزوج فقيرِ ذاتِ اليد ، سيدا شباب الجنة الحسن والحسين .

وأكرم بسيدة نساء أهل الجنة أن تنجب وتربي وتنشئ سيدي شباب أهل الجنة ، وهل الأبناء إلا صدى الأمهات ؟ أو ليس الفرع يطيب بطيب الأصل ؟

أجريت دراسة تربوية اجتماعية أظهرت أن الولد يقضي مع أمه سبعين ألف ساعة ، بينما يقضي في المدارس عشرة ألاف ساعة ، بمعنى أن الأم تساوي سبع مدارس ، بل تزيد .

كانت السيدة فاطمة بارةً بأبيها ، صابرةً مع زوجها مربيةً لبنيها ، طائعةً لربها .

أما طاعتها لربها :

فاقرؤوا طاعتها لربها في حفظ حجابها وسترها حتى بعد موتها ، فقد روت كتب التراجم والسير لما حضر الموتُ السيدة فاطمة قالت لأسماءَ بنت عميس : يا أسماء إني قد استقبحتُ ما يُصنعُ بالنساء ، يُطْرَحُ على المرأة الثوب فيصفها .

قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة فدعت بجرائد رطبةٍ فَحَنَتْها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمةُ : ما أحسن هذا وأجملَه ، فإذا أنا مِتُّ فاغسليني أنت وعلي ، ولا تدخلي عليَّ أحداً .

رضي الله عنها وأرضاها

- يا أختي :

ببرك لوالديك .... وبصبرك مع زوجك.... وبتربيتك لبنيك ... وبطاعتك لربك تّرقَين ، وبدونها تخسرين ، وهذا حديثي عن السيدة فاطمة بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما الحديث عن السيدة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون رضي الله عنها .

فقد ذكر ابن عساكر في كتابه النفيس تاريخ مدينة دمشق قال : (آسية بنت مزاحم كانت من خيار النساء ، كانت أماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم وتعطيهم ويدخلون عليها وكانت تنصح زوجها فرعون أن يتبع موسى فيأبى)

وأنا يا أختي لا أعلم في الدنيا امرأةً أسوأ زوجاً من السيدة آسية ، فزوجها أسوأ الرجال خُلقاً : فظاً غليظ ، متكبر جبار ، صبرت عليه ولعلها نالت رتبة سيدةِ نساء العالمين ، بصبرها على زوجها وطاعتها لربها .

ولئن كانت سيدتنا فاطمة صبرت مع زوجها ، فإن السيدة آسية صبرت على زوجها ولئن كانت سيدتنا فاطمة نشأت وتربت في أشرف بيت في الدنيا بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن السيدة آسية ابتُليت بأسوأ بيتٍ في الدنيا بيت فِرعون ، ومع هذا أطاعت ربها وما عصته ، وشكرت الله وما كفرته ، وابتعدت عن الذنب وما رضيته ، حتى ضرب الله تعالى بها للمؤمنين مثلا ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾التحريم:11

قال ابن كثير في تفسير الآية :

هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم .

قال قتادة :

كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعدَه ، فو الله ما ضر امرأته كفرُ زوجها حين أطاعت ربها ، لتعلموا أن الله حكمٌ عدل ، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه .

وقولها :﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ** ﴾ قال العلماء : اختارت الجار قبل الدار

يا أختي : بصبرك على زوجك وبطاعتك لربك تَرقين وبدونهما تخسرين .

أختي الحبيبة :

هذا ما قرأته في سيرة هاتين السيدتين الكريمتين ، وأنا أدعوكِ إلى التمسك بما تمسكتا به :

1- بر الوالدين
2- الصبر مع الزوج إن كان معسراً
3- الصبر على الزوج إن كان صعباً
4- تربية الأبناء
5- طاعة الله